

الإصابات والعنف خلال الثقافة الإيرومغربية بالجزائر: حالات من موقعي أفالو بورمال و غمبيطة

خلفة عبد الرحمان

جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف 2

ملخص :

نحاول في هذا المقال جمع وعرض وتحليل مجموعة من البيانات المحصل عليها من موقعين ينتميان إلى الثقافة الإيرومغربية بالجزائر هما أفالو بورمال و غمبيطة (تاورة)، اعتمادا على تقارير الحفريات الأثرية بالموقعين و التحاليل الباليونطولوجية للبقايا العظمية البشرية ، للوقوف على الإصابات و إمكانية ممارسة سلوكيات من العنف والاقتتال بين المجموعات المختلفة أو بين أفراد المجموعة البشرية الواحدة. الكلمات المفتاحية : إصابات ؛ عنف ؛ إيرومغربية ؛ أفالو بورمال ؛ غمبيطة ؛ الجزائر.

Résumé :

Dans cet article, nous essayons de rassembler, présenter et analyser une collection de données provenant de deux sites appartenant à la culture Ibiromaurusienne en Algérie: Afalou bou Rhummel et Gambetta (Taoura), en basant sur les fouilles archéologiques et les analyses paléontologiques des restes humains concernant ces deux sites, afin d'identifier les blessures et la possibilité de comportements violents et luttes intestines entre différents groupes ou entre membres du même groupe humain .

Mots clés: Lésions ; Violence ; Iberomaurusien ; Afalou bou Rhummel ; Gambetta; Algérie.

مقدمة :

أصبح موضوع العنف بأشكاله المختلفة في ما قبل التاريخ يحظى باهتمام متزايد من تخصصات علمية متعددة خلال العقود الأخيرة ، سعيا لرسم صورة متكاملة عن حياة أناس ما قبل التاريخ ، و في مجال علم الآثار يتم الاعتماد على تقارير الحفريات الأثرية وتحليل اللقى المختلفة خاصة منها البقايا العظمية البشرية

التي تظهر عليها إصابات يمكن تفسيرها بأنها ناتجة عن سلوك من العنف ، وفي هذا السياق سنستعرض حالات من هذا النوع من موقعين بالجزائر يعودان إلى الثقافة الإبيرومغربية المنتمية إلى العصر الحجري القديم المتأخر ، هما الملجأ الصخري أفالو بورمال وحلزونية غمبيطة (تاورة) ، بعرض المعطيات المتاحة و مناقشتها في حدود ما تسمح به الوثائق المتوفرة .

1 صعوبات تفسير الأدلة على العنف :

تنقسم الأدلة على العنف في ما قبل التاريخ إلى أربعة فئات : الأسلحة ، التحصينات ، التمثيلات الفنية ، الأدلة من الهياكل العظمية⁽¹⁾ ، و تتميز هذه الأخيرة أنها وظيفية و أكثر فائدة في العصر الحجري الوسيط (يقابله في شمال إفريقيا العصر الحجري القديم المتأخر) ، فهي توفر معظم المعلومات ، حيث " غالبا ما تكون الجمجمة هدفا لضربات "⁽²⁾ ، " و هي وسيط بلاستيكي يسجل بأمانة الأشياء التي تضربه "⁽³⁾ ، فالأضرار على الجمجمة سواء شفيت أو لم تشف غالبا ما تكون مؤشرا على الضربات العنيفة عند المراهقين و البالغين⁽⁴⁾ .

و غالبا ما تكمن الصعوبة في تفسير الإصابات على العظام البشرية مما أدى إلى اختلاف الباحثين حولها ، وتحديدًا تقرير ما إذا كانت الإصابات عرضية أو بسبب العنف البشري ، فمنهم من يرى أنه لا يمكن أن يذهب الدليل أبعد من الوصف البسيط للعينة⁽⁵⁾ ، أو يمكن أن يكون ذلك مستحيلا⁽⁶⁾ ، في مقابل آراء الباحثين الذين يرون أن الأدلة على العنف التي تقدمها البقايا العظمية البشرية تعتبر شواهد لا تطرح صعوبات تفسيرها مثل تلك التي تطرحها المصادر الكتابية (الأدبية)⁽⁷⁾ . ، فمع أنه من الممكن تصور أن صدمات الجمجمة قد تكون بسبب الحوادث لكن الذي يبدو أكثر احتمالا أنها كانت نتيجة لقاءات عنيفة⁽⁸⁾ ، فالحل في غياب مؤشر عالمي للعنف ، يكون في أن نعتد على " أفضل حكم " و هو الذي يستند إلى دليل العظام و السياق و المعارف الثقافية⁽⁹⁾ ، و من المؤكد أن هذه الأخيرة تختلف من حالة إلى أخرى و من موقع إلى آخر.

2 - أشكال من العنف في موقع أفالو بورمال :

أ - تعريف بالموقع :

أفالو بورمال ملجأ صخري يقع على نصف ارتفاع جرف يطل على البحر المتوسط ، يقع ببلدية ملبو على الطريق الساحلي بين بجاية و جيجل، بالشرق الجزائري

إحداثياته : $5^{\circ} 26' N ; 36^{\circ} 41' E$ ، (الشكل 1) اكتشفه A. Ehermann في 1920 و قاد ك. أرمبورغ C. Arambourg بين 1928 إلى 1930 ثلاث حملات لتنقيب الموقع ، وبعد ذلك تم تنقيبه من طرف كل من Brahimi C. في 1967 ، و حاشي سليمان خلال الفترة بين 1983 - 1993 ، يشرف هذا الملجأ الصخري على الطريق المار بين المرتفع و الطريق على ارتفاع 40 م ، و ينفتح في اتجاه شمال - شمال شرق ، عرضه 22 م و يتراوح عمقه بين 10 إلى 12 م ، يكون سقفه تحدبا ينفتح في قسمه الأوسط بممر جداري ضيق (مدخنة) طبيعية قطرها 3 م ، قسمه ك. أرمبورغ في 1934 استراتيجرافيا إلى ثلاث مستويات (I, II, III) (الشكل 2) أما حاشي سليمان فقد قسمه إلى سبع مستويات ، وفيما يتعلق بتاريخ هذا الموقع فقد أعطت عينات من فحم الخشب تأريخات المستوى الأول عند أرمبورغ و الذي يقابل المستوى الثالث حسب تقسيم س. حاشي ما يلي : 11450 ± 230 ، 12020 ± 170 ك 14 ق. ح (C14 BP) أي 11630 - 11156 ، 12143 - 11725 ق . م (Cal BC)⁽¹⁰⁾ .

ب- البقايا العظمية البشرية :

يأخذ موقع أفالو بورمال أهميته من كونه واحد من أقدم المواقع المعروفة في شمال غرب إفريقيا و لكثرة البقايا العظمية البشرية التي وجدت فيه ، حيث كشفت مجمل الحفريات عن بقايا 71 فرد ، 51 منها من حفريات أرمبورغ و 20 من الحفريات التي قادها حاشي سليمان.

لقد كشفت حفريات أرمبورغ بهذا الموقع عن مدفين أطلق على الأول منهما : مدفن جماعي plurielle عثر عليه في المستوى الأول ، و هو الذي عثر فيه على أكبر قسم من البقايا البشرية إذ قدم بقايا 50 فرد: 26 منهم رجال ، 14 نساء ، 10 أطفال والعديد من أجزاء هياكل عظمية ، و مدفن آخر سمي مزدوجا double في

المستوى الثالث أي الأقدم و الذي عثر فيه على بقايا فرد واحد هو H28⁽¹¹⁾

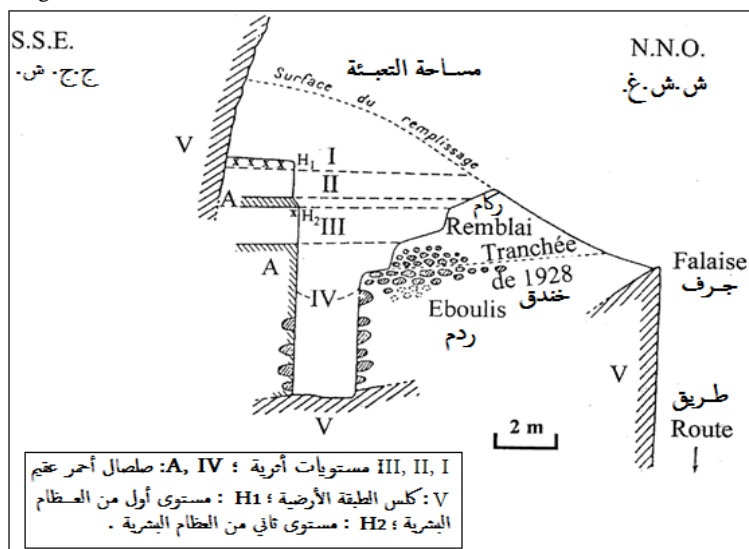


الشكل 1 : صورة تظهر وضعية ملجأ أفالو بورمال .

- Hachi S., Fröhlich F., Gendron-Badou A., de Lumley H., Roubet C., Abdessadok S., Figurines du Paléolithique supérieur en matière minérale plastique cuite d'Afalou Bou

Rhumel (Babors, Algérie). Premières analyses par spectroscopie d'absorption infrarouge.

L'Anthropologie 106, 2002, PP. 57-97 (P. 76).



الشكل 2 : مقطع استراتيجرافي لموقع أفالو بورمال حسب أرمبورغ و آخرين 1934.

- Arambourg C. et al., 1934, P. 16.

تجدر الإشارة إلى أن مجموع البقايا البشرية المحصل عليها من حفريات أرمبورغ محفوظة في معهد الباليولونطولوجيا البشرية (I.P.H.) بباريس ما عدا كتلة جمجمية وجبهية واحدة بقيت في المركز الوطني للبحوث في ما قبل التاريخ والإنسان والتاريخ (CNRPAH) بالجزائر العاصمة ، وحالة حفظ تلك البقايا جيدة عموما ، و يحمل أغلبها رقما حسب ترتيب اكتشافه و مسبوق بحرف (A) أي أفالو ، أما بالنسبة للعظام التي مصدرها الهياكل الستة التي وجدت في اتصال فيما بينها فترقيمها مسبوق بالحرف (H) ، و حددت العظام المنخلعة من أسفل الجمجمة (Post-Cranien) باسم الموقع وسنة الاكتشاف⁽¹²⁾.

يمتد المستوى الأول الذي يحتوى على العظام البشرية على عمق 3.25 م ، تكوّن هذه البقايا ركاما مكدسا وضع في الوسط تقريبا مقابل جدران عمق المغارة ، تشغل العظام أيضا مساحة حوالي 3 م على 4 م مع سمك متوسطه 0,50 م ، ويصل قرب الجدران حتى 0.75 م.

كانت العظام بصفة عامة مختلطة تماما وفي أكثر الأحيان دون اتصال فيما بينها ، مكوّنة تشابكا معقدا ، تظهر على الكثير منها علامات تأكسد ، فيما عدا ستة هياكل لأفراد بالغين التي عثر عليها مكتملة تقريبا، و التي أمكن جمعها، و عموما وجدت تلك البقايا العظمية في وضعيات وتوجهات متنوعة جدا⁽¹³⁾.
(الشكل 4 . أ ، ب)

ج - فرضية الإبادة في أفالو بورمال :

في محاولته لتفسير ركام العظام البشرية بالمستوى الأول من موقع أفالو بورمال أقر مكتشفه أرمبورغ بصعوبة المهمة ، و اقترح ثلاث تفسيرات : منها أنها كانت حالة من الدفن الجماعي حيث تكوّن البقايا العظمية البشرية كومة دائرية الشكل تقريبا يقابل مركزها مباشرة فتحة المدخنة (الشكل 3) التي توجد في أعلى تحدّب الملجأ الصخري ، وهو ما يطرح احتمال أنه تم رمي الجثث من خلال تلك الفتحة ، أو أن الأمر يتعلق بركام من الجثث جمعت بعد عرضها في الهواء الطلق وتحللها في الخارج. أما الفرضية الثالثة التي يوحى بها تنوع توجيه الجثث ووضعياتها المختلفة وهيأتها المنكمشة فهي فرضية " إبادة جماعية من قبيلة لقبيلة أخرى " ⁽¹⁴⁾.

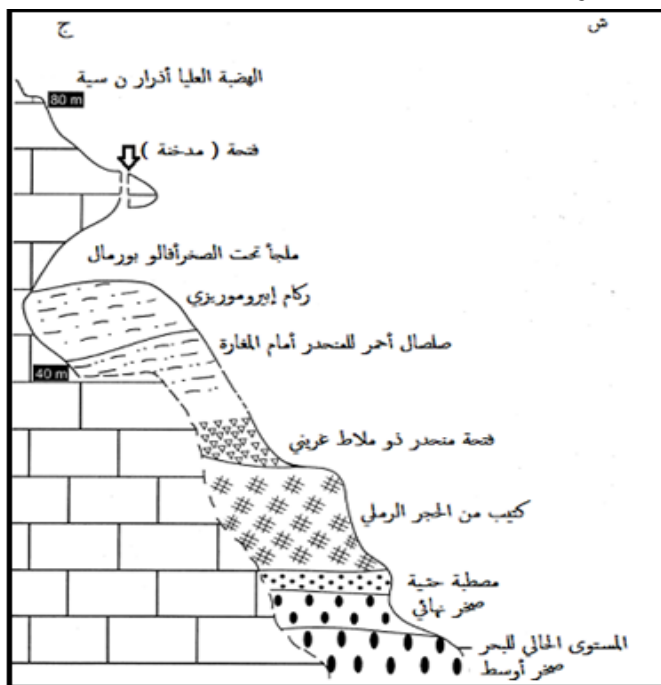
لقد تباينت آراء الدارسين حول فرضية الإبادة التي اقترحها أرمبورغ ، حيث تعاطف معها وولسين Wulsin F. R. الذي اعتبر أن التفسيرين الأولين لا يتوافقان أبداً مع حالة الفوضى التي وجدت عليها الجثث أو غياب العديد من أجزائها ، في حين تفسر فرضية الإبادة حسب رأيه كل الأفعال ، خاصة إذا افترضنا أن الأجساد رميت من المدخنة بعد أن بقيت بعض الوقت على السطح وبدأت في التفكك⁽¹⁵⁾ .

بعد سنوات من ذلك تحقّق ك. ل. بريغس C. L. Briggs على قبول فرضية المجزرة مشيراً إلى ما يضعفها ، ذلك أن بعض الجثث و عددها ستة 6 وجدت مكتملة بين العظام و معزولة تشريحياً⁽¹⁶⁾ ، وهذا يشير إلى أن الجثث لم تبق بعد الموت في الهواء الطلق لنفس المدة ، كما أن غياب أي إشارة أو دليل على جروح مميتة أو حتى مسببة للإعاقة في عدد كبير من بقايا العظام البشرية : " يضعف بقوة نظرية الموت العنيف للجميع " و يضيف بأن ما يدعم رأيه هذا أن تقرير الدراسة التي قام بها كل من Boule H., Vallois H., Verneau R. قد جاء مؤيداً لغياب الإصابات القاتلة على البقايا البشرية للمستوى الأول بهذا الموقع، حيث لا توجد إصابات مرضية للجماجم والبقايا الخلفية لها Postcraneau ، و التي يمكن أن تفسّر على أنها جروح قاتلة باستثناء المجمعتين رقم 12 و 27 اللتين تظهر عليهما إصابات في شكل انخفاض للعظم و الذي حسب دراسهما كان نتيجة لتعقّلات سبّبتها جروح في الرأس ، كما يشير التأم العظم إلى أن هذين الفردين قد عاشا بعد تلك الإصابات⁽¹⁷⁾ .

و نفس هذا المنحى ترى الوزيرة عودية شواكري أنه لا يمكن تقبّل هذه الفرضية بالجملة، و ذلك استناداً إلى أن الأبعاد التي قدمها ك. أرمبورغ تتعارض مع احتمال رمي الجثث من فتحة الملجأ الصخري، حيث يذكر أن سمك العظام البشرية يصل 50 سم مقابل الفتحة و 0.75 سم عند جدار الملجأ ، فالقسم الأكثر سمكا لهذه الكومة لا يقع في محور المدخنة ، يضاف إلى هذا وجود بعض الهياكل العظمية في وضعية دفن مشترك في حالة انثناء قسري لا يخدم فرضية العنف⁽¹⁸⁾ ، مما فتح المجال لاقتراح فرضية الطاعون أو المجاعة كتفسير لهذه الوضعية⁽¹⁹⁾ .

يتبيّن من أسانيد التحليلات السابقة أنه من المرجح بقوة استبعاد فرضية الإبادة الجماعية ، إلا أن ذلك لا يمنع من مساءلة السجل الأثري عن احتمال توفر

شواهد عن إصابات وعنف بين الأفراد ، قد تقدم البقايا العظمية للفردين رقم 12 و 27 نموذجا عنه.



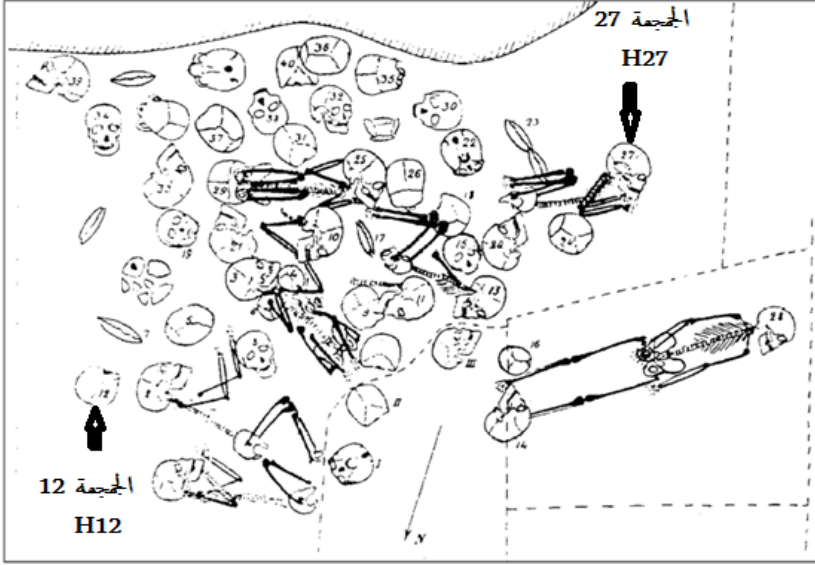
الشكل 3 : مخطط يبين وضعية ملجأ أقالو بورمال و التوضعات الرباعية المشتركة معه .

P. 76 - Arambourg C. et al., 1934, P. 76.



الشكل 4 . أ : منظر لقسم من المدفن (A) بموقع أفالو بورمال يظهر تكديس البقايا العظمية البشرية

- Arambourg C. et al., 1934, Pl. III.



الشكل 4 . ب : توزيع ووضعية البقايا البشرية بموقع أفالو بورمال محددة عليه المجمعتين رقم 12 و 27 .

- Arambourg C., et al., 1934, P. 20.

د - إصابات على المجمعتين 12 و 27 : ذكرين:

1 - إصابات على الجثة رقم 12 :

أ - إصابة في الجمجمة:

تعود هذه الجمجمة لذكر بالغ ، يظهر على الالتحام الجبهي الأيمن la suture coronale عند تقاطعه مع الخط الصدغي الأعلى انخفاض دائري الشكل في العظم ، قطره 12 ملم على 1 إلى 2 ملم من العمق ، و واصل الالتحام مساره حتى أقصاها دون انقطاع ، وتظهر في الجبهة أمام هذا الانخفاض وأسفله منطقة مدورة يتراوح قطرها بين 55 إلى 60 ملم ، وهي تمتد إلى الأمام حتى القسم الأوسط من العظم ، و من الخلف تدور بالالتحام الجبهي، أما من الجبهة الداخلية فيتجاوز هذا الانخفاض قليلا الخط الأوسط ، و تدور بالخط الصدغي الأعلى ، فتظهر في كل هذه

المنطقة المساحة العظمية أكثر علواً ، إضافة إلى منطقة حبيبية غير منتظمة ، و العديد من فتحات الأوعية الدموية الصغيرة . (الشكل 5)

أما تفسير هذه الحالة فهو حسب Vallois H. عبارة عن عملية رد فعل سمحاقية تجاه سبب التهابي ، من المحتمل أن يكون جرحاً أو رضوضاً في فروة الرأس تتناسب مع ضربة حددت انخفاض العظم التويجي Stéphanion⁽²⁰⁾ ، إلا أن Dastugue J. يستبعد هذا التفسير بناءً على غياب أي خلل في القسم الداخلي لمساحة الجمجمة و أيضاً غياب أي تشقق ينطلق من المنطقة الغائرة فهو يعتقد أنها عملية ثقب لم تكتمل ، و أن المنطقة الحبيبية الصغيرة المجاورة للانخفاض تشهد على رد فعل التهابي⁽²¹⁾ .

ب - إصابة في الوجه :

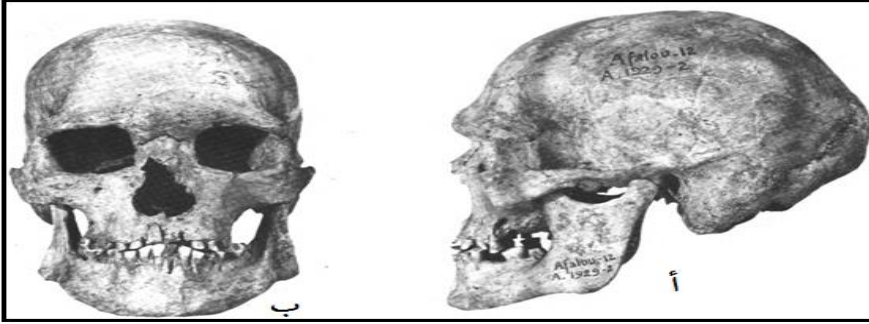
إلى جانب إصابتها في الجمجمة تظهر على الجثة رقم 12 آثار ضربة على الأنف أدت إلى إسقاط عظم الأنف وكسره الأمامي و أيضاً كسر العظم الجبهي الأمامي من الفك العلوي الأيسر ، و بقيت الأجزاء التي خلعت أو فصلت في أماكنها الجديدة في حالة سيئة جداً ، حيث جمع بعضها إلى الآخر و مع عظام أخرى مجاورة لها ، (الشكل 5) و حسب رأي ك. بريغز (محللها) يجب أن تكون الضربة التي سببت هذا الضرر جاءت من الأمام ، و من زاوية بحوالي 45 درجة من يسار الضحية ، كما لا يستبعد أن يكون السلاح قبضة اليد اليسرى أو الرأس ، و تبدو أنها الفرضية الأكثر احتمالاً⁽²²⁾ .

2 - إصابة على الجثة 27 :

ترجع هذه الجمجمة لذكر بالغ و قد كان توجيه هذه الجثة شرق - غرب تقريباً ، الجذع و الرأس مستلقين على الجانب الأيسر ، و الأطراف السفلية كانت ممددة على الجانب الأيمن و منثنية بشدة⁽²³⁾ . و قد ظهرت عليها إصابات مرضية على شكل انخفاض قوي يقع أمام الالتحام الجبهي ببعض المليمترات ، و بثلاثة سنتيمتر يمين الخط الأوسط ، أخذ هذا الانخفاض شكلاً بيضاوياً ، طوله 23 ملم و عرضه 17 ملم و يصل أقصى عمق له إلى 5 ملم ، تظهر حواف هذا الانخفاض منتظمة (الشكل 7) وهذه الحالة أيضاً كانت نتيجة تعفن ناتج من جراح سطحية في الرأس⁽²⁴⁾ . و يبدو أن هذا الفرد خضع لمحاولة جراحية حيث وجدت حزوز مستقيمة قصيرة و هي خاصة " أدواتية " ربما يرجع سبب تكوينها إلى الطرف الحاد

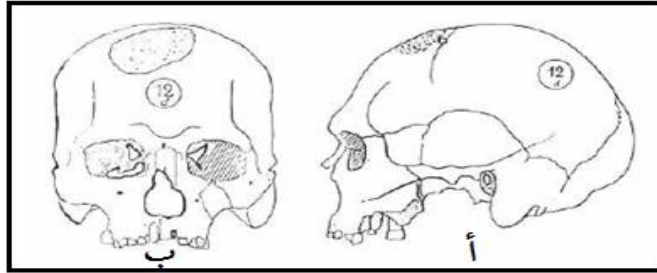
المستعمل لحفر عظم الجمجمة ، ويدل بقاء تلك الحزوز على أن الفرد لم يبق على قيد الحياة لمدة طويلة بعد هذا الثقب غير المكتمل ⁽²⁵⁾ .

يتبين مما سبق أن قسما من البقايا العظمية بأفالو بورمال قد قدّم إصابات قاتلة ، و أن فرضية الإبادة الجماعية مستبعدة بما يكفي من القرائن الأثرية والمنطقية، إلى جانب أن الإصابات كانت أمامية و مست جنس الذكور فقط بهذا الموقع، فضلا عن اختلاف الدارسين في قراءة تلك الإصابات وتفسيرها .



الشكل 5 ، أ : صورة جانبية وأمامية لجمجمة الفرد رقم 12 بأفالو بورمال .

- Cabot L. Briggs, 1955, PL. II.



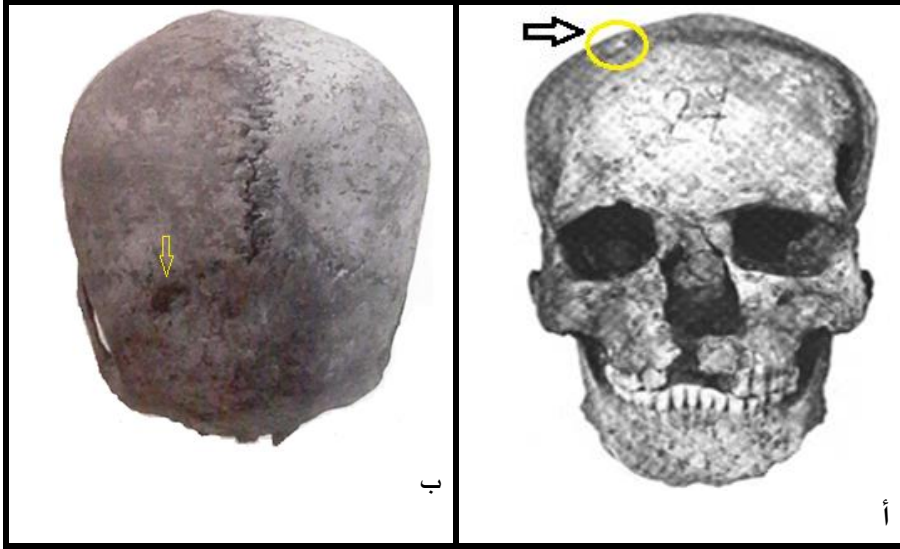
الشكل 5 ، ب : رسم تخطيطي جانبي وأمامي للجمجمة رقم 12 بموقع أفالو بورمال.

Arambourg C., et al., 1934, P.P, 105, 120.



الشكل 6 : الصورة مصغرة إلى النصف تقريبا .

-Arambourg et al., 1934, PL. XXI ; Cabot L. Briggs, 1955, PL. XVIII, b.



الشكل 7 : أ - صورة أمامية ، ب - صورة من أعلى للجمجمة رقم 27 بأفالو بورمال تبين الإصابة .

Arambourg et al., 1934, PL. XVI .

3 - إصابات عند المرأة H 4 من حلزونية غمبيطة (تاورة) :

أ - تعريف بالموقع :

تقع الحلزونية ببلدية تاورة (Ex. Gambetta) بولاية سوق أهراس شرق الجزائر وتحديدًا (مزرعة بومعراف السبتي حاليا) ، التي كانت تسمى مزرعة Burgat Gabriel ، على مسافة 14 كلم جنوب مدينة سوق أهراس ، وتبعد حوالي 5 كلم

غرب تاورة (على مسافة حوالي 200 م شمال الطريق الوطني رقم 16 ب ، جوار بحيرة بورقاس)،

: 07° 59' 07.07 E) carte de l'Algerie au 50.000^e feuille n. 100, Montesquieu
(36° 09' 04.86 N .

اكتشفت الحلزونية منذ 1936 ، و قام بتنقيحها كل من ب. روداري Rodary P. و ج . مورال J. Morel ، وهي ذات شكل إهليلجي تمتد في محورها الرئيسي على مسافة 60 م وعلى 18 م في محورها الأصغر ، ويتراوح سمك طبقة الرماد فيها بين 0.80 م - 1 م⁽²⁶⁾ .

قدّمت هذه الحلزونية العديد من اللقى التي تمثّلت في الصوان ، البقايا العظمية ، حجارة موقد متفحّمة و قواقع الحلزون ، مع صناعة حجرية قليلة⁽²⁷⁾ ، و قد صنفت إيروموريزية فقيرة، أما فيما يتعلق بالبقايا العظمية البشرية فقد وصلتنا ثلاثة هياكل عظمية من بين أربعة التي عثر عليها في حلزونية غمبيطة⁽²⁸⁾ ، يوجد اثنان منها منذ الأربعينيات بمعهد الباليونطولوجيا البشرية بباريس⁽²⁹⁾ ، أما بقايا الجثة الثالثة فهي المعنية بالإصابات و آثار عنف على جمجمتها كما سيلى توضيحه :
ب - وصف الإصابات :

اكتشفت البقايا العظمية لجثة المرأة رقم 4 بين فيفري و مارس 1937 من طرف Burtat G. ، Morel Jean ، و جدت في وضعية دفن متقلصة ، تعود لامرأة بالغة ، وهي لا تنتمي إلى جنس مشقى العربي و صنّفت ضمن نوع الإنسان العاقل الحفري homo sapiens fossilis ، وتجدر الإشارة إلى أن حالة حفظها سيئة ، وتوجد بمتحف الإنثوغرافيا و ما قبل التاريخ البارود بالجزائر⁽³⁰⁾ .

كان ك. بريغز أول من درس بقايا هذه الجمجمة في 1949 فأشار إلى وجود ستة إصابات منها زوجين على الجانب القائم وعلى الإلتام السهي ، و إلى إصابتين أخريين ، إحداهما قريبة من أسفل منطقة الدرز السهي ، و لاحظ كذلك وجود إصابتين إلى الأعلى مباشرة من نقطة التقاء العظم الخلفي والجاني والعلوي les astériens واللتين بالكاد تخترقان جدار الجمجمة، (الشكل 8) و لم يقدم أي تفسير لها⁽³¹⁾ .

و في السنوات الأخيرة أعادت الباحثة عودية شواكري تحليلها و دراستها و قد لاحظت وجود تلك الإصابات ، و قد عرّفت كل واحدة منها بالحرف L = Lésion أي

إصابة ، متبوعا برقم ابتداء بالعظم الجداري الأيمن من الأمام نحو مؤخرة الكتلة الجمجمية ، وفي ما يلي تفاصيل تلك الإصابات:

- إصابة 1 : على العظم الجداري الأيمن ، الإصابة الأولى التي تلقتها هذه المرأة شكّلت انخفاضا بيضوي الشكل (37×21 ملم) و عليها كلها ندوب ، و محورها الرئيسي مواز للدوز السهمي *la suture sagittale* تظهر حافتها الأمامية انخفاضا أكثر حدة مما على الحافة الخلفية ، والنقطة الأكثر عمقا فيه منحرفة عن الجهة الأمامية .

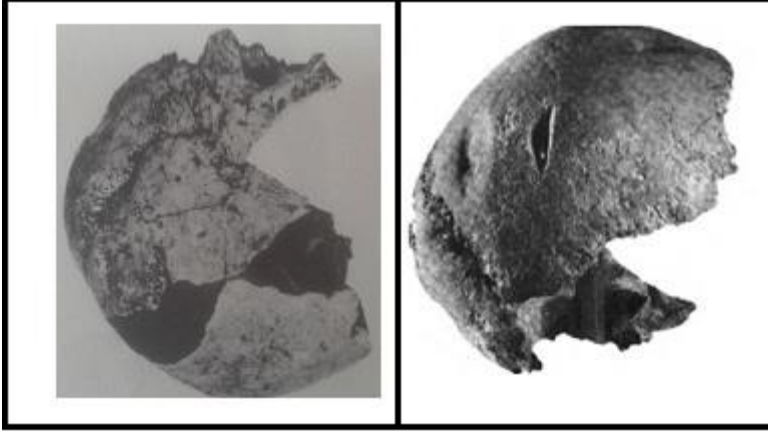
- إصابة 2 : توجد أبعد إلى الخلف من الأولى و تحديدا على قمة السنام الجداري ، وهي بيضوية الشكل ، أبعادها $26,5 \times 9$ ملم و موجهة بشكل عمودي نحو الدرز السهمي ، كما تحتوي على الثقب الذي يخترق العظم في وسطها ، و حواف هذه الإصابة حادة ومائلة ، كما أن فتحتها الخارجية أوسع من فتحتها الداخلية ، تشكّل نهايتها السفلى نقطة في حين أن نهايتها العليا ذات شكل مدوّر ، و تظهر على كلتا حافتيها حزوز وهي تتجمع (تتقارب) نحوها ، والحافة الداخلية أيضا تمتد بمحاذاة تلك الحزوز . و تنطلق بصمة من الأوعية الدموية ثم تصعد مشكّلة نصف دائرة نحو مكان التحام العظام *La suture* .

- إصابة 3 : أبعاد هذه الإصابة الثالثة $33 \times 17,5$ ملم تقع خلف السابقة مباشرة ، وهي تشبه الإصابة رقم 1 .

- إصابة 4 : تقع على العظم الجداري الأيسر ، وهي الأكثر تقدما نحو الأمام و قد شفيت تماما وهي ذات شكل بيضوي ، غير مرئية جيدا ، و تبدو أكبر من الإصابة النظيرة لها (1.إ) .

- إصابة 5 : توجد إصابة ثانية على العظم الجداري الأيسر ، وهي متناظرة تقريبا مع الإصابة الثالثة بالعظم الجداري الأيمن (2.إ) ، تماما مثلما في الجانب المقابل لم تلتئم. و قد انكسرت جزئيا خلال عملية تنقيب الموقع ، و لم يصلنا إلا الثلث من طولها ، وهي مغطاة بالشمع الحديث لحفظها ، يمثل الجانب المنحدر الأوسط قطعا من القشرة ملتصقة بالحافة ، و اللافت للانتباه أن بعض الشظايا لم تنكسر عند الانتقال نحو عمق الفتحة ، لكنها التوت فقط ، و نلاحظ أيضا وجود تصدعات ، من جهة أخرى يلاحظ وجود العديد من الشرائط في نهايتها الخلفية وهي تتباعد كلها ابتداء من هذه النقطة .

- إصابة 6 : الإصابة الخلفية القصوى (19 × 8 ملم) تقع قريبا جدا من الدرز اللامي la suture Lambdoïde وهي مشابهة تماما للإصابة رقم 3 وقد شفيت تماما ، وهي ذات شكل بيضوي أيضا ، لكن حجمها أصغر من سابقتها (الشكل 9)



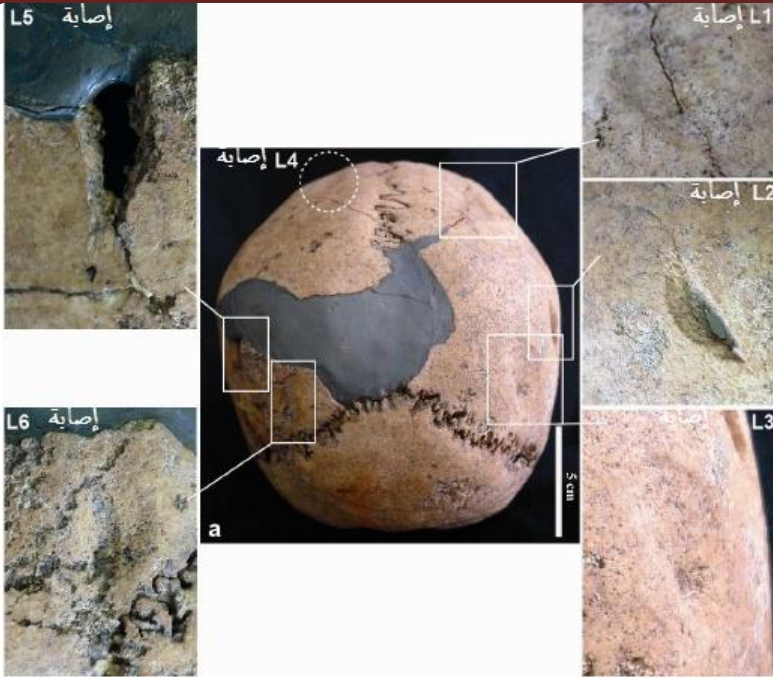
الشكل 8 : أ : صورة جانبية للجهة اليمنى ، ب صورة جانبية للجهة اليسرى
لبقايا جمجمة المرأة H4 من حلزونية Gambetta (تاورة) قبل إعادة
قولبتها .

- Balout L., Cabot-Briggs L., 1946, Pl. IV.

ج - تحليل وتفسير الإصابات :

كانت الإصابات 1 ، 3 ، 4 ، 6 التي شفيت عبارة عن كسور في شكل انخفاض للعظم ، ويمكن أن الكسر مرسّ الطبقة الخارجية من العظم فقط و التي ضغطت بدورها على الطبقة الإسفنجية بين لوحتي العظم le diploé دون أن تصل إلى القشرة الداخلية من عظم الجمجمة .

أما الإصابة رقم 5 التي لم تلتئم فهي من النوع الذي يقع فيه كسر العظم وهو لا يزال رطبا ، حيث لا يمكن أن يحدث هذا الطي للعظم إلا إذا كان لا يزال يحتفظ بكامل رطوبته و صلابته، و بالنظر إلى الخصائص الملاحظة فإنه من المتوقع أن الضربة قد حدثت بالاستعانة بأداة تحدث رضوضا على العظم الطازج أي أنها غير حادة ، وذلك بوقت قليل قبل الموت أو بعده مباشرة .



- الشكل 9 : منظر خارجي لجمجمة المرأة H 4 ، من موقع غمبيطة (تاورة)
ميّنة عليها تفاصيل الإصابات الستة .

- Aoudia - chouakri Louiza, 2013, P. 186.

غالبا ما تفسّر حالات الكسر التي تكون في شكل انخفاض على الجمجمة على أنها حالة من العنف ، خاصة إذا توفرت معها إصابات أخرى على الساعدين و أيضا تكرار هذه الملاحظات في مجموعة معينة ، إلا أنه في حالة هذه المرأة من موقع غمبيطة فإن العظام الطويلة للأطراف العلوية لم يتم حفظها كاملة مما يمنعنا من التحقق من وجود كسور أخرى بالتالي البقاء حذرين في الذهاب أكثر في تفسيرها⁽³²⁾ .
خاتمة :

- يتبين مما سبق عرضه من معطيات وتحليلها من هذين الموقعين أن الإصابات :
- مسّت الجنسين ، ذكّرين بالغين في أفالو وأنثى بالغة في غمبيطة .
- كما اختلفت نوعية الموقعين فكان أحدهما ملجأ صخري قريب جدا من البحر ، في حين كان الموقع الثاني عبارة عن حلزونية في الهواء الطلق و في منطقة داخلية بعيدا عن البحر .

- و إذا كان تأريخ أفالو بوريمال معروفا بين الألف الثاني عشر و الحادي عشر قبل الميلاد فإن تأريخ موقع غمبيطة أقل دقة .
- دفع تكوين الملجأ الصخري لأفالو بورمال و وضعية البقايا البشرية فيه ببعض الدارسين إلى اقتراح فرضية الإبادة الجماعية إلا أن الحجج التي قدمها المنتقدون لها يشجع على استبعادها بشكل كلي ، وبالتالي البحث عن تفسير آخر قد يكون إصابتهم بالطاعون أو المجاعة أو غيرهما من الأسباب .
- يلاحظ أن الإصابات في العينتين من ملجأ أفالو بورمال مسّت القسم الأمامي من الجمجمة و الأنف ، مع اختلاف في مساحة الإصابة كما يظهره الهبوط في العظم الذي تركته ، كما يتبيّن أن الأداة التي سببت تلك الإصابات لم تكن حادة ، في حين تتميز الإصابات على جمجمة المرأة رقم 4 بكثرتها حيث وصلت ستة إصابات ، و يبدو أن الأداة التي أحدثتها كانت حادة مثلما يتبيّن من الإصابة رقم 2 ، و هو ما يعزز فرضية أنها بفعل بشري عنيف .
- لعل أهم ما يتبيّن بوضوح كذلك هو حدود علم الآثار نفسه ، فإذا كانت الإصابات بهذين الموقعين مؤكدة بالتحليل الباليونطولوجي فإن إثبات أن سببها فعل بشري يبقى من الصعب تأكيده ، مما يحتم الحذر من إصدار أحكام نهائية إلا في حدود ما تسمح به الوثائق المتاحة .

الهوامش :

- (1) Thorpe, I.J.N., " Death and violence- the later Mesolithic of southern Scandinavia" ,
In L. Bevan and J. Moore (Eds). Peopling the Mesolithic in a Northern Environment.
Oxford: Archaeopress, British Archaeological Reports International Series 1157,
pp.171-180. (P. 172) ; Knüsel, C.J., The physical evidence of warfare- subtle stigmata?" in
Warfare, Violence, and Slavery in Prehistory. 1374 British Archaeological Reports.
International Series. Oxford: Archaeopress, 2003, PP.49-65. (49) .
- (2) Ibid., P.P. 50, 55.
- (3) Walker (P.L.), " Wife beating, boxing, and broken noses: skeletal evidence for the cultural patterning of violence " , In: Martin DK, Frayer, D.W., editor. Troubled times:

violence and warfare in the past. Australia: Gordon and Breach Publishers, 1997 , PP. 145-179. (146).

(4) Ibid., P. 163.

(5) Jackes, M., "Osteological evidence for Mesolithic and Neolithic violence: Problems of interpretation " , In M. Roksandic, (Ed). Evidence and meaning of violent interactions in Mesolithic Europe. BAR International Series 1237. Oxford: Archaeopress, 2004 pp. 23-39(23).

(6) Roksandic, M. , How violent was the Mesolithic, or is there a common pattern of violent interactions specific to sedentary hunter-gatherers? In M. Roksandic (Ed). Violent interactions in the Mesolithic. Evidence and meaning. Oxford: Archaeopress, BAR International Series, 2004, PP.1-8. (4).

(7) Jackes, M. (2004). P. 23.

(8) Frayer, D.W. , "Ofnet: evidence of a Mesolithic massacre" , In D.L. Martin and D.W. Frayer (Eds). *Troubled Times: Violence and warfare in the past*. New York: Gordon and Breach, 1997, PP. 181-216 (192).

(9) Knüsel, C.J., op - cit., P. 53.

(10) Arambourg C., Boule M., Vallois H., Verneau R. Les grottes paléolithiques des Beni Segoual (Algérie). Arch. Inst. Paléontol. Hum., mémoire n°. 13, 1934, PP.15 - 19 ; Hachi S. Les cultures de l'homme de Mechta-Afalou: le gisement d'Afalou Bou Rhummel, (massif des Babors, Algérie) : les niveaux supérieurs, 13.000-11.000 B.P: C.N.R.P.A.H., Alger, 2003, PP. 47 - 49.

(11) Ibid., P. 49.

(12) Aoudia - chouakri Louiza, Pratiques funéraires complexes : réévaluation archéanthropologique des contextes ibéromaurusiens et capsiens (Paléolithique et épipaléolithique de l'Afrique du nord-ouest), Thèse de Doctorat, Université de Bordeaux I, 2013, P. 101.

(13) Arambourg C.et al. , op - cit., P. 19.

(14) Ibid., PP. 22 -23.

(15) Wulsin Frédérick Roelker, Prehistorical archeology of Northwest Africa, The Papers of the Peabody Museum of American archeology and ethnology, Harvard University, Vol. XIX, n° 1, Museum of Cambridge USA, 1941, P. 139.

- (16) H1, H2, H3, H13, H25, et H27.
- (17) Briggs L.C., " The stone age races of northwest Africa " , American school of prehistoric Research, Peabody Museum, harvard university, Bulletin n° 18, 1955, P. 6.
- (18) Aoudia - chouakri Louiza, Op - Cit., P. 98.
- (19) Marilyn Keyes Roper, " A survey of the evidence for intrahuman killing in the Pleistocene" , Current Anthropology , Vol. 10, n. 4, Part 2 , 1969, PP. 427 - 459 (P. 447) .
- (20) Arambourg C.et al. , op - cit., P. 149.
- (21) Dastugue J., " Pathologie des hommes épipaléolithiques d'Afalou -Bou-Rhumel (Algerie) " , l'Anthropologie, t. 79, n. 3, 1975, PP. 483 - 509.(P. 489)
- (22) Briggs L.C., op - cit., P. 86.
- (23) Arambourg C.et al. , op - cit., P. 21.
- (24) Ibid., P. 149 ; Briggs L.C., op - cit., P. 86.
- (25) Dastugue J., op - cit., P. 494.
- (26) Balout L., Cabot-Briggs L., " Débris humains de l'escargotière de Gambetta" , Travaux du Laboratoire d'Anthropologie et d'Archéologie Préhistorique du Musée du Bardo (II), Alger, 1949, PP. 127 - 132 (P. 125).
- (27) Rodary P., " Contribution à la recherche des stations préhistoriques dans la région de Gambetta et de l'oued Mellègue (commune mixte de souk - Ahras) " , actes du quatrième congrès de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du nord, Rabat , T. II, 1938, PP. 510 - 511.
- (28) Balout L., " Les hommes préhistoriques du Maghreb et du Sahara, inventaire descriptif et critique (Paléolithique, Epipaléolithique, Néolithique)" , Libya, T. II, 2, 1954, P. 101; Aoudia - chouakri Louiza, op - cit., P. P.178, 180.
- (29) Rodary P., op - cit., P. 511; Balout L., Cabot-Briggs L., op - cit., P. 127 n. 1.
- (30) Ibid., PP. 125 - 127; Balout L., Les hommes préhistoriques..., PP. 102.
- (31) Balout L., Cabot-Briggs L., " Débris humains de l'escargotière de Gambetta" , PP.130 - 131.
- (32) Aoudia - chouakri Louiza, op - cit., PP. 185 - 188.